قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الاسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الموجهات الحجّاجية في سورة يونس عليه السلام

Argumentative Orientations in Sūrat Yūnus (Peace Be Upon Him)

م.م: إنتصار فنجان حسين/جامعة ذي قار–رئاسة الجامعة*

Keywords:
The Holy Qur'an;
Argumentation
Argumentative Orientations.

Abstract

This study aims to identify the most important elements upon which an argumentative text should be built، and to highlight the semantic، pragmatic، linguistic، stylistic، and rhetorical aspects of the words of God Almighty، according to modern linguistic argumentative theories. It seeks to benefit from various linguistic argumentative theories، regardless of their origins or orientations، all converging into a single framework termed the argumentative method. Argumentative drivers are linguistic elements that guide verbal expression towards a specific outcome، since the essential function of speech is to guide، not merely to indicate. Discourse drivers change according to the patterns of its audience، and they are of two types: first، connectives، and second، factors.

These drivers are considered cornerstones of argumentative theory، which seeks to demonstrate that the fundamental function of language is argumentation، indicated within the structure of the utterances themselves، represented by the discourse sequences and their productive mechanisms. This analysis of the words of God Almighty is intended to...

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الإرسال:٢٠٢٦/١/١٧م
المراجعة:٢٠٢٦/١/٢٣م
القبول: ٢٠٢٦/٢/١م

الكلمات المفتاحية:
القرآن الكريم، الحجّاج، الموجهات الحجاجيّة

الملخص

تهدف هذه الدراسة لبيان أهم المقومات التي ينبغي أن يُبنى عليها النصّ الحِجَاجي، وتسليط الضوء على الجوانب الدلالية، والتداولية، واللغوية، والأسلوبية، والبيانية في كلام الخالق عز وجل وفق النظريات الحجَاجية اللسانيّة الحديثة، والإفادة من النظريات الحجَاجية اللسانيّة على اختلاف مشاربها وتوجيهها جمعاء؛ لتصبّ في رافدٍ واحدٍ اصطلحت عليه بالمنهج الحِجَاجي فالموجهات الحجاجيّة هي عناصر لسانية تقوم بتوجيه المنجز اللفظي نحو نتيجة معينة؛ لأن وظيفة الكلام الجوهرية هي أن يوجّه لا أن يدل، وموجهات الخطاب تتغير بتغير أنماط مخاطبيه، وهي على نوعين: الأولى: الروابط، والثانية: العوامل. فالموجهات تُعدُّ من مرتكزات النظرية الحجاجية التي تسعى إلى تبيان أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي (الحجاج)، المؤشر له في بنية الأقوال أنفسها المتمثل في التسلسلات الخطابية وآلياته الإنتاجيّة.

* Corresponding author at **Asst. Lecturer Intisar Finjan Hussein**L**University of Thi-Qar – University Presidency**

١.المقدمة

تهدف هذه الدراسة لبيان أهم المقومات التي ينبغي أن يُبنى عليها النصّ الحِجَاجي، وتسليط الضوء على الجوانب الدلالية، والتداولية، واللغوية، والأسلوبية، والبيانية في كلام الخالق عز وجل وفق النظريات الحِجَاجية اللسانيّة الحديثة، والإفادة من النظريات الحِجَاجية اللسانيّة على اختلاف مشاربها وتوجيهها جمعاء؛ لتصبّ في رافدٍ واحدٍ اصطلحت عليه بالمنهج الحِجَاجي فالموجهات الحجاجيّة هي عناصر لسانية تقوم بتوجيه المنجز اللفظي نحو نتيجة معينة؛ لأن وظيفة الكلام الجوهرية هي أن يوجّه لا أن يدل، وموجهات الخطاب تتغير بتغير أنماط مخاطبيه[١]، وهي على نوعين: الأولى: الروابط، والثانية: العوامل[٢].فالموجهات تُعدُّ من من مرتكزات النظرية الحجاجية التي تسعى إلى تبيان أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي (الحجاج)، المؤشر له في بنية الأقوال أنفسها المتمثل في التسلسلات الخطابية وآلياته الإنتاجيّة[٣]، بغية تحليل كلام الخالق عز وجل على وفق هذا المنهج، وتسليط الضوء على المكنونات اللغوية، والبلاغية المؤثرة فيه، والخطاب القرآني يقتضي الوظيفة الإقناعية التأثيرية، فهو خطاب متلون بتلون المتلقي: خطاب تهييج وإغضاب وتشجيع وتحريض وتنفير وتحبيب وتعجيز وتحسير وتكذيب وتشريف[٤]، ومما يثبت أنه خطاب كَثُرتَ مخاطباته فالخطاب القرآني خطاب حجاجي؛ لأنه خطاب موجه إلى متلق فعلي، أو محتمل، والأصل في كل خطاب حجاجي يتكون من: المُحَاجُّ.وهو صاحب الغلبة، والمحجوج، وهو المغلوب، والحجج، ومفهوم الخطاب الحجاجي هذا تندرج تحته مفاهيم تجمع بينه، وبينها علاقات، تتغاير بتغاير المفهوم المندرج، بمعنى أن هذه المفاهيم لا يمكن أن تحل محل المفهوم الحجاجي، فلا نستطيع القول: إن الخطاب القرآني خطاب جدلي أو حواري أو برهاني.

أولًا: الروابط الحجاجية:

إنّ الربط ((قرينة لفظية تعمل على اتصال أحد المترابطين بالآخر[٥].ويعدُّ الربط وسيلة من الوسائل التي يتحقق بها الاتساق، يقول دي بوجراند:((الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه

(١) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: أمينة الدهري: ١٣٩.

(٢) ينظر: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجاً): ١٧.

(٣) ينظر: اللغة والحجاج: ٢٦.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: للزركشي: ٣٧٦.

(٥)الهوامش – اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٣.

المساحات[١]. وقد أثبتت الدراسات الحِجَاجية ((أنّ الروابط والعوامل الحِجَاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أنّ الحِجَاج له مؤشر في بنية اللغة نفسها[٢].

الروابط هي الروابط المدرجة للحجج كالرابط الحجاجي(حتى)، فـ((الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أنْ تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنَّها تخدم نتيجة واحدة، ثم أنَّ الحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى،... ولذلك فإنَّ القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي[٣]. وتُعد ((من أدوات السلم الحجاجي، لدورها في ترتيب منزلة العناصر ولما لمعانيها واستعمالاتها من سلميَّة.

فأولها هو(حتى الجارّة) التي تعني انتهاء الغاية على أن يراعي المرسل تحقق شروط مجرورها في التركيب،.....[٤]. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في **قوله تعالى:{ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}[يونس: ٢٢].**((ومعناه أي يمكنكم من السير تمكناً مستمراً عند الملابسة به، .... وغاية التيسير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عن إيثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث[٥]،فالرابط الحجاجي **(حتَّى)** هنا قد ربط ربط مجموعة من الحجج، الحجة الأولى هو أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة ومجيء الريح العاصف[٦]، والحجة الثانية هي ((تراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء[٧]. فهذه الحجج الواردة بعد(حتى)تخدم نتيجة واحدة وهي أنَّ الله سبحانه وتعالى. يعظكم فيها وهو يسير كل الكون سواء في البر والبحر والخطاب هنا موجه للكل ومنهم المسيرون في البر[٨] .

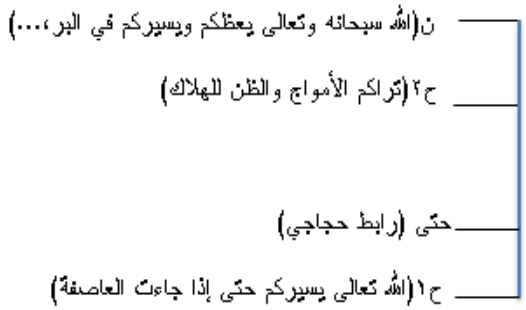

(١) – النص والخطاب والإجراء: ٣٤٦.

(٢) الخطاب الحِجَاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة: (أطروحة دكتوراه)١٥٨.

(٣) – اللغة والحجاج: ٧٣.

(٤) – استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٥١٧.

(٥) – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٦٤٨/٢.

(٦) – ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في في وجوه التأويل:٤٦٠/١٢.

(٧) – المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

(٨) – ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٦٤٨/٢.

فالروابط هي الأدوات التي تربط بين قولين داخل الخطاب، وتسند لكلِّ قول أثراً محـــدداً داخـــل (الاستراتيجية) الحِجَاجية، وتسهم فـــي تحديـــد العلاقة التخاطبية العامة انطلاقاً من أثرها فـــي فهم الأبعاد الدلالية، وعُدّ الرابط الحِجَاجي فـــي النظرية الحِجَاجية اللغوية موصلاً تداولياً ((يعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي ليجعل منهـــا أفعالاً لغوية يحمل عليها وهي منفصلة[١].

ومنه **قوله تعالى:{ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَـرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}[يونس: ٥٥]**القسم الأول من الآية (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يتضمن حجة تخدم نتيجة مـــن قبيل" سيقوم الناس بالواجب"، والقسم الثاني من الآية (أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) يتضمن حجـــة تخـــدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة:" لا_ ن"، أي تخدم من نمط " الناس غافلون" أو" لن يطيعوا ربَّهـــم ولن يتقوه"؛ ولأنَّ الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى فستوجه القول بمجمله نحو النتيجة (لا_ ن)[٢].

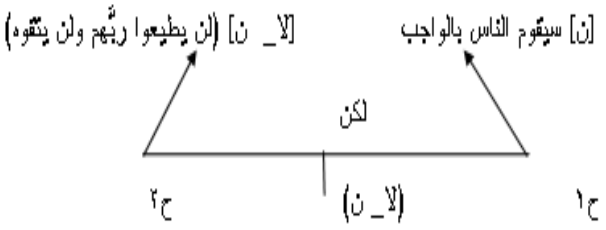

من هنا، فإنَّ((لكن متى توسطت دليلين باعتبارها رابطًا حجاجيًا جعلت الدليل الوارد بعدها أقـــوى من الدليل الذي سبقها فتكـــون للاحـــق الغلبـــة المطلقة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجملـــه فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدليل الثاني ويخدمها هي نتيجة القول برمته[٣]،

وكذلك الرابط الحجاجي (بل)، عدَّه النحويون لنفـــي كـــلام و إثبـــات غيـــره. يقـــول الرماني(ت٣٨٤ه):((وهي من الحروف الهوامل، ومعناهـــا الإضـــراب عـــن الأول والإيجـــاب للثاني...تقع بعد النفي والايجاب جميعًا[٤]. فهذا الرابط يُوجِد تعارضًا بين ما يتقدمه وما يتبعـــه، من خلال أنّ التلفظ بـــالقول الأول يتجـــه إلـــى النتيجة(ن)، ويجعل من القول الثاني يتجه إلـــى نتيجة (لا ـــــــــــ ن). زد علـــى ذلـــك أنَّ المتكلم يقدم الحجة الثانية بوصفها الحجة الأقوى؛ لأنها التي توجه الخطـــاب أو القـــول برمتـــه. فـــ(بل) في الحجاج تقوم بتقديم حجج تكون أقوى وأشمل من الأولى فيما قبل الأداة (بل) كما تظهر ضعفاً أمام حجج الثانية فيما بعـــد الأداة (بـــل) ويكون التدعيم الثاني موصلاً إلى نتيجة الحجاج

(٣) – الحجاج في الشعر العربي– بنيتـــه وأســـاليبه: ٩٤، وينظر: اللغة والحجاج: ٥٨.

(٤) – معاني الحروف: ٩٤.

المقصود دون أن يلغي التدعيم الأول. فهي تؤدي دور مقدّم لحجج أقوى وأشمل من التي سبقتها، كما تبين ضعف الحجج الأولى أمام الحجج الثانية.

يمكن إيجاد مثاله في قوله تعالى:{**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} [يونس:٣٨-٣٩]** الحجة الاولى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ.....) أي انهم ادعوا القرآن الكريم وتحدوا ذلك، أما الحجة الثانية فهي جاءت بعد(بل) [بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ.....] ((إضراب وانتقال عن إظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى إظهاره ببيان أنَّه كلام ناشئ عن جهلهم بشأن الجليل، ..... والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون أن يقال بل كذبوا به من غير أن يحيطوا بعلمه أو نحو ذلك للإيذان بكمال جهلهم به،.....[1]. ولابأس أن نمثل بمثال آخر لهذا الرابط،

نلحظ أنّ هذا الرابط يربط بين حجتين لهما توجه حجاجي واحد، تكون الحجّة التي بعده وهي أما الحجة الثانية فهي جاءت بعد(بل) [بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ.....] أقوى من الحجّة التي قبلها الحجة الاولى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ.....)في خدمة النتيجة المضمرة فالرابط (بل) أفاد هنا الانتقال من غرضٍ إلى غرضٍ آخر لهما توجه حجاجي واحد، ويخدمان نتيجة واحدة.

ومن أمثلة الوصل الاستدراكي قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ ربطت (لكن) بين (ما كان هذا القرآن أن يفترى) و (تصديق الذي بين يديه) عن طريق علاقة الاستدراك، فعلاقة التعارض بين ما قبل (لكن) وما بعدها فسحت المجال لـــ (لكن) لتربط شطري الكلام. فقد نفت الآية الكريمة الافتراءات عن القرآن ثم حدث الاستدراك بـ (لكن) لزيادة كمية معلومات المتلقي ورفده بحقائق أُخرى مضافة، فالقرآن الكريم ليس فقط كلام الله غير المفترى،وإنما هو تصديق الذي بين يديه من التوراة والإنجيل والزبور: ((فهذه شهادة من الله بأن القرآن صدق وشاهد لما تقدّم من التوراة والإنجيل والزبور ... وأنه مصداق لما تقدمت

(١) – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٦٦٦/٢، وينظر: التحرير والتنوير: ١٧١/١١.

البشارة به فيها [١] . ويمكن توضيح علاقة الاستدراك: نفي الافتراء (لكن) تصديق وتفصيل الكتاب لا ريب فيه: ((فإن قلت بِمَ اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت: هو داخل في حيز الاستدراك [٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)﴾ ربطت (لكن) بين طرفي علاقة التعارض (لا أعبد) و(أعبد) وأتت الواو قبلها لتقوية الربط العكسي في النص: ((و(المقصود أنه لما بيّن أنه يجب ترك عبادة غير الله، بيّن أنه يجب الاشتغال بعبادة الله [٣].

ومن أمثلة الوصل السببي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ (7) أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (8)﴾ . فالنار نتيجةٌ سببها ما كانوا يكسبون، فالذين تقدم وصفهم في الآية: (٧) مستقرهم النار جزاءً بما كانوا يكسبون من المعاصي [٤] . فالباء في قوله تعالى: ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ للسببية أي أن الأعمال السابقة هي المؤثرة والمسببة في حصول هذا العذاب [٥] . فمكسوبهم سبب في مصيرهم إلى النار[٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ (٤٥) ﴾ . فالخسران نتيجة سببها التكذيب بلقاء الله تعالى [٧] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾، فعدم الفلاح نتيجة سببها الافتراء على الله بالكذب، والعذاب الشديد نتيجة سببها الكفر، فهم لا يفوزون بشيء من الثواب (لا يفلحون) بسبب كذبهم على الله باتخاذ الولد وغير ذلك، ولا نقتصر على بعثهم بعد موتهم بل ننزل بهم العذاب الشديد جزاءً بما كانوا يكفرون في دار الدنيا [٨] . ودلّت الباء على السببية أي بسبب كفرهم نذيقهم العذاب.

ومن أمثلة الوصل الزمني قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٣)﴾ . لقد ربطت (قبلكم) بين زمنين

(١) مجمع البيان: ١٦٧/٥.
(٢) الكشاف: ٣٤٧/٢.
(٣) مفاتيح الغيب: ٣٠٨/١٧.
(٤) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٤٢/٥.
(٥) يُنظر: مفاتيح الغيب: ٢١٢/١٧.
(٦) يُنظر: التحرير والتنوير: ٢٥/١١.
(٧) يُنظر: التحرير والتنوير: ٩٣/١١.
(٨) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٠٧/٥.

في هذا النص، زمن الماضي والحاضر في لحظة الخطاب، فأقسم سبحانه وتعالى أنه أهلك من كان قبل هذه الأُمة من أهل القرون[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾. ربطت (بعد) بين جملة (أذقنا الناس رحمة) وجملة (مسّتهم) فضلاً عن ربطها بين زمن الخطاب وبين الزمن الماضي الذي مستهم فيه الضراء، وذكر الزمخشري مقدار الزمن في هذه الآية الكريمة سبع سنين، قال (سلّط الله القحط سبع سنين على أهل مكة)[٢].

لكـــن:

من حروف الاستدراك، ومعنى الاستدراك أن تنسب حكمًا لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنّك لما أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره إن سلبًا وإن إيجابًا، ولذلك لا يكون إلا بعد كلام ملفوظٍ به أو مقدر (...) ولا تقع (لكن) إلا بين متنافيين بوجه ما، ولكن تفيد الاستدراك، لتوسطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا، فتستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي والتغاير في المعنى بمنزلته في اللغة[٣]. وتعد من من الروابط الحجاجية التي تظهر القوة الحجاجية لأطروحة على أخرى إذ يقع بين الحجة وضد النتيجة[٤]، وتصلح للمحاج تقديم معلومات على أساس أنها حجج[٥].

ويبدو الأثر الحِجَاجيّ للرابط "لكن"، في أنها تستعمل لدحض النتيجة من الحجة التي تأتي بعدها، أي أنها تستعمل للتحفظ على النتيجة، ويمكن تلخيص استعمالها الحِجَاجيّ بما يأتي[٦]:

١- أن المتكلم يقدم "أ" أو "ب" بعدهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، أي (لا – ن).

٢- أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، باعتبارهما توجه القول أو الخطاب برمته.

ويمكن الترميز لهذه العلاقة الحِجَاجيّة بالرسم البياني الآتي[٧]:

(١) المصدر نفسه: ٣٤٨/٥.

(٢) الكشاف: ٣٣٧/٢، ويُنظر: التحرير والتنوير: ٥٢/١١. ٥٢/١١.

(٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٥٩١.

(٤) ينظر: توظيف الروابط الحجاجية في مقالات محمد البشير الإبراهيمي، دراسة تحليلية للرابط الحجاجي (بحث): ٦٩.

(٥) ينظر: الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث: ٢٢٢.

(٦) ينظر: اللغة والحجاج: ٥٨.

(٧) ينظر: اللغة والحجاج: ٥٩.

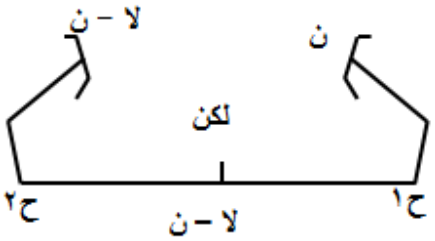

ويضرب أبو بكر العزاوي مثالاً لذلك، قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (30)﴾، فالقسم الأول من الآية

(إن وعد الله حق) يتضمن حجة تخدم نتيجة من قبيل "سيقوم الناس بالواجب" أو "سيطيعون ويتقون"، والقسم الثاني من الآية "أكثرهم لا يعلمون يتضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة: "لا –ن"، أي تخدم نتيجة من نمط "الناس غافلون" أو "لن يطيعوا ربهم ولن يتقوه"، ولأن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، فستوجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا – ن"[١].

أي تكون نتيجة الحجة الثانية تتجه إلى نقض نتيجة الحجة الأولى[٢].

ومن الشرط الحجاجي بـ(إذا)، قوله تعالى: فتوظيف الجملة الشرطية في الخطاب أكسبه نوعًا من التوجيه مما يحقق مقصدًا حجاجيًا يؤدي إلى رسوخ المضمون الحجاجي الذي أراده المخاطِب، إقناعه للمتلقي؛ كونها من الأمور المهمة التي ينبغي الحذر منها بالضرورة وهي وسوسة الشيطان.

وبهذا يفتح الدعاء ثنائية الترغيب والترهيب، وهي وسيلة حجاجية تدفع المخاطَب إلى قبول النتيجة وهي الحذر من وساوس الشيطان وتصيد مكايده في أثناء تلاوة القرآن وترغيبه بأن هؤلاء المؤمنين الذين يتوكلون على الله لا يصيبهم شيء من وسوسته فالله وحده هو القادر على دفع ضرر كيد الشيطان؛ لأن إيمانهم يفيدهم النور الكاشف عن مكره والتوكل على الله يفيدهم التقوّي بالله، فيمنع من معاندة الشيطان وقوة تأثيره.

ومن الآيات التي تضمنت معنى الدعاء، وبنيت على الأداة (إذا)، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فالآيات انتقت تركيب الشرط (إذا) لتبكيت المشركين، وفيه دعوى أن يقيم الخصم الحجة على نفسه بسبب وقوعه في التناقض كما نرى دلالة (إذا) على المتيقن وجوده واضحة منهم في حال وقوعهم في الشدائد لا

(١) ينظر: اللغة والحجاج: ٥٨–٥٩.
(٢) الحِجَاجيّات اللسانية عند انسكومبر وديكرو: ٢٣١.

يلتجأون إلا إلى الله في كشف الضر، وإن استجابة الدعاء تعد من الأدلة والبراهين على وجود الله سبحانه وتعالى.

الحِجَاج بالنفي:

النفي ردّ فعل على إثبات فعلي، وعاملية أدوات النفي الحِجَاجي يمكن إدراكها بإدراك النتيجة التي يريد المحاجج توجيه المتلقي إليها، ويمكن توضيح ذلك بما جاء في **قوله تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[يونس:٦١]** جاء النفي في هذه الآية بالأداتين (ما- لا)، فالنفي ب(ما) خلص المضارع للحال فقط وقصد به التعظيم للنبي (ص) وقراءته للقرآن أما النفي بالأداة(لا) دافعًا ومحفّزًا للمتلقي على الإقتناع بقصد المتكلم المصرّح به، فهو خلص المضارع للاستقبال وجاء به للازمنه كلها، ويقصد به الاستمرار فيكون عامل تحفيز تداولي للمتلقي بالإذعان لهذا القصد المتمثّل بتفضيل النبي محمد(ص) وتعظيم شأنه بكل الأوقات والأزمان[١] .

إذا كان القصر ردًّا على موقف معيّن، أو أنّ المتكلم ينزل المخاطَب منزلة المخالِف، فقد أظهر المتكلم موقفًا مغايرًا للأول باستعمال القصر؛ ليجلي الحقيقة ويدحض موقف المخاطَب، بل إنّه دحض مجموعة من المواقف المغايرة في آن واحد ولمخاطب واحد.

ومن أمثلة الحجاج بالقصر ما جاء في **قوله تعالى:{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلا نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ}[يونس:٤٨-٤٩]** وقع القصر بـ(لا_ إلاّ) في قوله تعالى:{ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلا نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ}فجاءت هذه الآية جواباً للآية السابقة أي كيف أستطيع تعجيل الساعة وهذا الأمر يرجع إلى الله سبحانه وتعالى وجاء قولهم بصيغة المضارع لاستحضار الحالة[٢] وقوله:{ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ}وقال صاحب التحرير والتنوير وصاحب تفسير الكشاف:((استثناء منقطع بمعنى لكن، أي لكنّ نفعي وضري هو ما يشاءه الله لي. وهذا الجواب يقتضي إبطال كلامهم بالاسلوب المصطلح على تلقيبه في فن البديع بالمذهب

(١) ينظر: التحرير والتنوير:٢١٢/١١.

(٢)ينظر: البحر المحيط: ١٦٤/٥، وينظر: التحرير والتنوير:١٨٨/١١-١٨٩.

الكلامي، أي بطريق برهاني ...[١]. أما أبو حيان: فقال إنَّ ظاهره إستثناء متصل ومعناه إلاّ ما شاء الله أن أملكه أي لا أستطيع أن أملك شيئاً من دون مقدرة الله[٢].

قوانين السّلم الحجاجي: جعل طه عبد الرحمن للسلم الحجاجي قوانين ثلاثة نذكرها فيما يأتي:((قانون الخفض: إذا صدق القول في مراتب معينة من السلَّم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها. قانون تبديل السلّم: إذا كان القول دليلاً على مدلول معيّن، فإنَّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله. قانون القلب: إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيّن فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول[٣]. ويمكن أن نوضح السلّم الحجاجي عن طريق الأمثلة القرآنية ومنه ما جاء في قوله تعالى:**{ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ }[يونس:٨٠-٨١]**

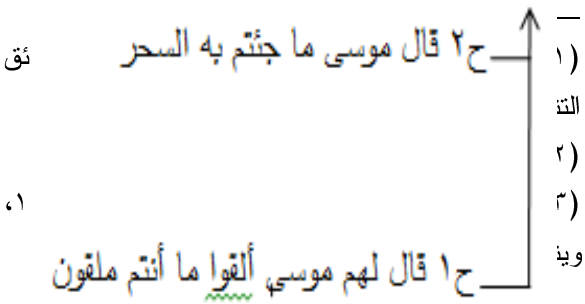

النتيجة ن(إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ)

الحجة الأولى حصلت عن طريق الدعوة أي عندما دعاهم موسى (ع) أن يلقوا السحر وحصلت الحجة بفعل الأمر(ألقوا) والمراد به التسوية وإظهار الشيء، أما الحجة الثانية فـ(قال موسى ما جئتم به السحر) ومعناه أي ما أظهرتموه، وبين السلم الحجاجي ارتقاء موسى (ع) في إختيار حججه التي قدّمها للسحرة، ليقنعهم بظرورة الكف والنهي عن هذا العمل، وأكد قوله بـ(إنَّ) وكذلك (السين) التي تفيد الاستقبال،((ليتقرر الإخبار بثبوت حقيقة في السحر له ويتمكّن في أذهان السامعين فضل تمكن ويقع الرعب في نفوسهم[٤]،أي: أنّ الله سبحانه وتعالى سيبطل عملكم حالاً ولا يصلحه لأنه فاسد.

التنغيم الهابط وأثره في اتساق النص، يرى البيضاوي في قوله تعالى**﴿: وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾** [يونس ٨٨] أن قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾**هو ((دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك: لعن الله إبليس، وكذلك **﴿رَبَّنَا اطمس على أموالهم ﴿واشدد على قُلُوبِهِمْ﴾،**

(٤) – التحرير والتنوير:١١/٢٥٥.

أما﴿فَلاَ يُؤْمِنُواْ حتى يَرَوُاْ العذاب الأليم ﴾، فهو ((جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي، أو عطف على﴿لِيُضِلُّواْ﴾ وما بينهم دعاء معترض[١]، بيّن المفسر هذه الأساليب الطلبية "الأمر والنهي" ثم بيّن دلالاتها، وهو الدعاء، والدعاء ذو نغمة هابطة، ومن ثَّم سار النص على وتيرة واحد متسقة النغم

فجعل بعض المفسرين سر الحذف في النص راجعا إلى التركيب اللغوي نفسه بمعنى أن مرجعية المحذوف مقالية، وهو من المحاور التي يعتمد عليها الحذف عند علماء النص، وتُعد هذه إشارة ذكية من البيضاوي؛ كونه ربط بين إجزاء النص المتباعدة بالحذف، ولا شك أن النص يكتسب حياته بالمتلقي، إذ هو الذي يفك شفرة ذلك النص، ويستخرج ما فيه، وكل متلقٍ حسب ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم ذلك النص وسياقه، ذلك الأفق الذي يمكنه من إدراك ما في النص من أفكار ومبادئ وجماليات، وأيضا يمكنه من ملئ الفراغ الكامن بين عناصر ذلك النص، على وجه الخصوص ما يتصل بحذف الكثير من العناصر في النص، وهنا تتضح مهمة المتلقي[٢]، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [يونس ١١]، يرى البيضاوي أن قوله: ﴿**استعجالهم بالخير**﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بأن المراد شر استعجلوه كقولهم ﴿**فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السماء** ﴾[الأنفال ٣٢]، وتقدير الكلام، ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالاً كاستعجالهم بالخير، فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه[٣]، فالمحذوف هو " حين استعجلوه استعجالاً كاستعجالهم بالخير"، والدليل هو " ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير"، وهذا النص كسابقه مرجعيته مقالية أسهمت في اتساق النص.

ومنه قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ يَنْظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۞ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس ١٠٢-١٠٣]، يرى البيضاوي أن قوله: ﴿**ثُمَّ نُنَجّى رُسُلَنَا والذين ءامنُواْ**﴾عطف على محذوف دل عليه﴿ **إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الذين خَلَوْاْ**﴾ كأنه قيل؛ نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم، على حكاية الحال الماضية[٤]، فالمعطوف عليه محذوف وهي

(١)- أنوار التنزيل: ٥٢٧/٢ .

(٢)- ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق "دراسة تطبيقية على السور المكية":٢١٣/٢.

(٣)- أنوار التنزيل:٤٨٥/٢- ٤٨٦.

(٤)- أنوار التنزيل:٥٣٣/٢.

جملة "نهلك الأمم"، والدليل مذكور في النص، وعليه فإن الإحالة هنا مرجعيتها مقالية.

الخاتمة

- تهدف هذه الدراسة لبيان أهم المقومات التي ينبغي أن يُبنى عليها النصّ الحِجَاجي، وتسليط الضوء على الجوانب الدلالية التفسيرية.
- إن الحجاج فعاليّة تداوليّة تواصلية متجذرة في اللغة، يقصد إليها المتكلم من أجل تحقيق التأثير؛ لأنّ الحجاج ينطلق من فكرة مؤدّاها:(إننا نتكلّم عامة بقصد التأثير).
- فالموجهات الحجاجيّة هي عناصر لسانية تقوم بتوجيه المنجز اللفظي نحو نتيجة معينة؛ لأن وظيفة الكلام الجوهرية هي أن يوجّه لا أن يدل، وموجهات الخطاب تتغير بتغير أنماط مخاطبيه.
- الخطاب القرآني يقتضي الوظيفة الإقناعية التأثيرية، فهو خطاب متلون بتلون المتلقي: خطاب تهييج وإغضاب وتشجيع وتحريض وتنفير وتحبيب وتعجيز وتحسير وتكذيب وتشريف
- أظهرت الدراسة أن الخاصية البنائية للخطاب الحجاجي خاصة استدلالية يتم بها الانتقال من (الحجة) إلى (النتيجة)، والحجة الوحدة البنائيّة الأولى في العملية الحجاجية
- أظهرت الدراسة أن اللغة تحمل بصفة ذاتية أبعاداً حجاجية مؤشراً لها في بنية الأقوال أنفسها
- أظهرت الدراسة البعد الوظيفي الحجاجي للموجِّهات اللسانية في سورة يونس عليه السلام، إذ قامت بتوجيه الملفوظ بحسب مقاصد المتكلم ومتطلبات المقام، ومن ثم توجيه المتلقي نحو سلوك معين أو تركه.

المصادر

- القرآن الكريم

١. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري،ط١، دار الكتاب الجديد، بنغازي –ليبيا، ٢٠٠٤م .

٢. الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، ٢٠٠٩، ١٤٢٤ .

٣. البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسيّ (ت ٥٤٧ ه)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

٤. التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، (د– ت).

٥. التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٦. تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لقاضي القضاة أبي السعود بن العمادي الحنفي (٩٠٠هـ– ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، دار الفكر، بيروت، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض،(د– ط)، (د–ت)

٧. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلاَّمة ضياء الدين عمر(ت٦٠٤ه)، ط١، دار الفكر بيروت–لبنان، ١٩٨١م.

٨. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بم ام قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة،ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣.

٩. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة– بنيته وأساليبه، د– ساميّة الدريديّ، ط ١، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ٢٠٠٦م.

١٠. الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر روديكرو: د. الراضي رشيد، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد ١، المجلد ٣٤، لسنة ٢٠٠٥م.

١١. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السّور المكيّة: د– صبحي إبراهيم الفقّي، ط١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٢. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن، ط٢، الناشر المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ٢٠٠٠م.

١٣. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ه)، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون، ط٣، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.

١٤. اللغة العربية معناها ومبناها:د– تمّام حسّان، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٥. اللغة والحجاج: ابو بكر العزاوي،ط ١، منتديات سور الازبكية، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

١٦. معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الرمَّاني النحوي(ت ٣٨٦ه)، تحقيق: د– عبد الفتاح إسماعيل شبلي، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ١٩٨١م.

١٧. النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة: د– تمّام حسّان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.